ثانيا: المداخل المنهجية الكبرى في علم الاجتماع

Les approches méthodologiques en Sociologie

1 - المدخل المنهجي الإسلامي:

لقد قدم علماء الإسلام إسهاما علميا في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، منذ القرن الثامن الميلادي، وإلى الوقت الحاضر، والذي ظهر في الآثار العلمية وأنواع الإنتاج العلمي الأدبي، ويتميز العلم الإسلامي، بالمكانة الأولى من الأهمية حين يدون تاريخ العلم، لأنه كان حلقة الاتصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد، وقد حاول العلماء والمؤرخون المنصفون إبراز المنهجية الموضوعية العلمية التي اعتمد عليها علماء الإسلام لتبيان ما توفر من ترابط بين مناهج البحث، ومن الأبحاث العلمية المختلفة التي قام بها علماء الإسلام، لمعرفة مدى انطباق (تطابق) هذه المناهج على الواقع العلمي الصحيح، من واقع الأبحاث العلمية لعلماء الإسلام، ومدى تطبيقها في العلوم الطبيعية والكونية.

أ - في مجالات العلوم التطبيقية: (د. محمد زيان عمر، 1983، ص 20)

لقد كانت المنهجية العلمية واضحة عند علماء المسلمين في المجالات الكونية والتطبيقية، فلم يقبلوا النظرية إلاّ بعد التثبت منها، وسار علماء الإسلام في مختلف فروع المعرفة الإنسانية على أسس علمية تقترب من الأسس الحديثة بما احتوته من أسلوب التفكير العلمي والدقة والاستنتاج، ما هو محل تقدير المنصفين من العلماء المعاصرين، ولذلك تميز التفكير الإسلامي بالموضوعية، ودعا علماء الإسلام إلى الالتزام بالأمانة العلمية، والتجرد الموضوعي، والبحث عن الحقيقة، كما اعتمد علماء الإسلام الشك والتجربة في البحث العلمي.

وقد أثبتت الدراسات المقارنة للمنهج العلمي الحديث، والمنهج الذي اتبعه علماء المسلمين في مجال العلوم الطبيعية الكونية، إن الطريقة والمنهج العلمي الحديث، وأسلوب التفكير المنطقي توفر لدى العلماء المسلمين، في بحوثهم واكتشافاتهم العلمية في مجال العلوم التطبيقية (الطب، الصيدلة الكيمياء)، وغيرها من العلوم.

- **الفرابي:** قد أشار الفرابي في كتابه " إحصاء العلوم " بقوله: قصدنا أن نحصي العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جل ما يشتمل عليه كل واحد منها، واجزاء ماله منها من أجزاء، وجمل ما لكل واحد من أجزائه، وبذلك حاول أن يرسم حدود العلوم وتصنيفها، وأشار بصراحة واضحة إلى ذلك في كتابه " التنبيه على سبل السعادة" حيث قال: صناعة الفلسفة صنفان صنف به تحصل معرفة الموجودات التي للإنسان فعلها، وهذه تسمى النظرية، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل، وهذه تسمى الفلسفة العلمية....

كما نرى أن ابن سينا يعتبر المنطق أنه لكسب الحكمتين النظرية والعملية.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ويمكن القول بأن تصنيف العلوم لدى المفكرين المسلمين ابتداء من الفرابي إلى الوقت الحاضر، يعكس المعرفة الإنسانية بتفريعاتها المختلفة، وأنها أرست قواعد كثير من العلوم الحديثة، بل والمعاصرة إذن يعتبر الفرابي من المتقدمين في تاريخ تقدم الفكر.

ب- في العلوم الاجتماعية: (د. محمد زيان عمر، 1983، ص 22، 23)

أما في مجال التاريخ والاجتماع، فقد ظهرت أسماء لامعة أسهمت بشكل بارز في تطوير الكتابة التاريخية لدى المؤرخين المسلمين، ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرا ورافدا، هاما من روافد المادة التاريخية، وقد انفرد القرآن الكريم بذكر بعض أخبار الأمم البائدة... كما جاء القرآن الكريم بنظرة عالية للتاريخ، وتشكل السنن النبوية مصدرا رئيسا للمعلومات بالنسبة للسيرة النبوية الشريفة... وقد أدى الاهتمام بدراسة علم مصطلح الحديث، إلى فتح باب الدراسات التاريخية الإسلامية... وفق قواعد مصطلح حديث.

وظهر أعلام اللغة والآداب خلال عصور التاريخ الإسلامي، حيث وضعوا قواعد اللغة وأصول البيان وألفوا المعاجم والموسوعات، كما اسهموا بنصيب وافر في مجال الفلسفة وظهرت مدارس فلسفية متميزة، ونشأ علم الكلام، ومن أبراز فلاسفة الإسلام الكندي فيلسوف العرب الأول، الفرابي المعلم الثاني، وغيرها...

أما عميد المتكلمين فهو حجة الإسلام الإمام الغزالي، حيث وضع كتابين أحدهما " مقاصد الفلسفة" أما الثاني فهو " تهافت الفلاسفة " لخص فيه آرائهم....

وبإيجاز يمكن القول أن قواعد المنهج الإسلامي في قبول الحديث النبوي الشريف، من حيث الرواة والنص، اعتمدت الأسلوب العلمي في التحري والتحقيق وهي تتخلص فيما يلي:

- قام علماء المصطلح باعتماد المنهج العلمي في نقد مصدر الرواية، واعتمد منهج الشك... في التعديل، وضعوا المقاييس الدقيقة وتصنيف الرواة إلى طبقات.

- يلاحظ من المبادئ والقواعد التي ذكرت سابقا فيما يتعلق بنقد النص، أن علماء المسلمين وضعوا جميع الاحتمالات لتحقيق النصوص من ناحية المعنى واللغة ومدى صحة الوثيقة.

- وقد ناقش علماء المسلمين المتأخرين أمثال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، والقاضي عياض... وابن خلدون وغيرهم... هذه القواعد العلمية التي وضعها علماء مصطلح الحديث،وأشاروا بما تم التوصل إليه من قواعد ومبادئ أساسية أصبحت أساسا للنقد العلمي التاريخي، وخطوات هذا المنهج العلمي الإسلامي في مصطلح الحديث، طبقها رواد الفكر الإسلامي الأوائل علميا في الحديث النبوي الشريف، واستفاد منها فلسفة التاريخ والدراسات الاجتماعية الأخرى.

ابن خلدون وعلم الإجتماع: (د. محمد زيان عمر، 1983، ص 28)

- ويعتبر ابن خلدون واحدا من أعظم مفكري الإسلام في العصور الوسطى، فهو الذي أسس علم الاجتماع، وأرسى قواعد النقد التاريخي، كما امتازت نظرياته السياسية بالأصالة، كما أنه لم ينس التفكير في منهجا يتم من خلاله دراسة هذا الاجتماع الإنساني، فركز على وجود فكرة النسبية الاجتماعية، بالإضافة إلى كونه تبني منهجا يقوم على فحص الوقائع بنظرة العلم الحديث.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ويتميز منهج ابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية بخصائص ثلاث: الشمولية، والموضوعية، والنظرة التكاملية.

- الشمولية:

فقد نظر إلى الظاهرات (الظواهر) الاجتماعية نظرة " شاملة " حيث تحدث عن ضرورة الاجتماع البشري، ثم فصل في خواصه. بحيث يشمل جميع جوانب الموضوع تاريخيا، جغرافيا، وايكولوجيا، فجاءت المقدمة في اتجاه الإحاطة بالموضوع فكريا من جوانبه كلها على نحو ما نسميه اليوم (الشمول- الانسيكلوبيدي) الذي يجعل من الكتاب دائرة معارف عامة تتبع ظهور العلم، وأول من ألفه حتى تصل إلى عصر الكاتب، وتنقد ما اشتهر في عصره من مؤلفات.

- أما الموضوعية:

فتتجلى عند (ابن خلدون) في تعريفه لواقعات (الظواهر) العمران البشري وللأحوال (التطورات) وتبيانها بالأمثلة الواقعية، ولكنه لم ينس في واقعيته وموضوعيته الأسس النفسية، فقد تحدث في الفكر الإنساني، أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر، وفي العقل التجريدي وكيفية حدوثه، أثبتت أن الإنسان جاهل بالذات، عالم بالكسب (أي أنه جاهل بكل ما يتعلق بالذات البشرية الإنسانية، وعالم بكل ما يجعله يكسب المادة).

- والنظرة التكاملية:

في المنهج الخلدوني كان ابن خلدون يشرح كثيرا بأن هناك ترابطا بين الوقائع (الظواهر)، الاجتماعية على الجملة، وبين كل واقعة مترددة فهذه الترابطات التي ينادي بها(ابن خلدون) في مقدمته هي دليل يجعلنا نؤكد أنه نظر إلى المجتمع، على أنه كائن حي مترابطا عضويا، وليس في ذلك غرابة، بسبب الثقافة الدينية المرتبطة بالنظرة الاجتماعية التي يتميز بها (ابن خلدون) وهي ما تقتضيه النظرة التكاملية في العلوم الإنسانية عامة،مثلا المدينة هي الدولة التي كان يطلق عليها اسم المدينة، وهي قد تطورت عن الأسرة، فالعائلة، ثم العشيرة، والقبيلة و هكذا.

2- الاتجاه الوضعي:

أ- الظروف الاجتماعية: لظهور الاتجاه الوضعي:

لقد اقترن الاتجاه الوضعي باسم بأغست كونت المفكر وعالم الاجتماع الذي ولد في مونبلية بفرنسا عام 1798 وتوفي سنة 1857، لقد عاش كونت في فترة تميزت بالتفكك الأسرى والاجتماعي، والفوضى العقلية، والأخلاقية، والفقر الثقافي والمادي الذي مس أغلب الجماعات الاجتماعية، خلال الثورة الفرنسية.

أمام تلك الظروف السيئة، حاول كونت تقديم نفع عام للمجتمع الفرنسي، وللإنسانية جمعاء، من خلال البحث عن طريقه فعالة تمكنه من إعادة توازن المجتمع الفرنسي وإصلاحه بالقضاء على الفوضى، وجعل مكانة النظام، لقد كان يعي أن النظام القديم لم يعد يساير التغيرات الجديدة الناتجة عن التقدم العلمي والتكنولوجي المرتبط بالثورة الصناعية.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ب- الاتجاه الفكري لظهور الاتجاه الوضعي:

كان اتجاه كونت الفكري ينهض على ثلاثة مقومات أساسية هي: صياغة نسق موحد للمعرفة يتضمن:

- المناهج القادرة على تحصيل المعرفة وتطورها ونموها.
- وضع الأسس المنهجية للتحليل الاجتماعي والعمل الاجتماعي.
- وأخيرا وضع الأسس المنهجية للإصلاحات الدينية و الأخلاقية.

ومن أهم أعمال كونت كتابة " دروس في الفلسفة الوضعية " الذي يعد ثورة على الفلسفة التقليدية، وتوجيها نحو الواقع، بعبارة أخرى، تعني الوضعية عنده القدرة على فهم الحياة بعيدا عن التأمل العقيم، وعلى أساس من المعرفة اليقينية المنظمة . ولايعني باليقين المعرفة المطلقة، وإنما هناك نظرة سببية، تلك هي الروح السائدة التي تنطوي عليها الوضعية.

أما الروح الميتافيزيقية، فهي غير قادرة على إستعاب هذه الفكرة.

جـ- المراحل الثلاث للتطور العقلي والاجتماعي:

لقد تضمن كتاب كونت الخطة العامة لقيام علم الاجتماع، وهي متمثلة في الفلسفة الوضعية، ولقد ميز كونت بين ثلاث مراحل للتطور العقلي والاجتماعي.

المرحلة الأولى:

أطلق عليها اسم المرحلة اللاهوتية: وتتميز... بأن مشاعر الإنسان وحياته تتصل أساسا بالبحث عن طبيعة الأشياء وأسبابها، وغاياتها، وتتخذ التفسيرات فيها شكل الأساطير المتعلقة بالأرواح والكائنات فوق الطبيعة.

المرحلة الثانية:

أطلق عليها اسم الميتافيزيقية، وتمتاز هذه المرحلة بالتأمل العقلي، والبحث عن المعاني والدلالات... والتفكير في ضوء المثاليات والأشكال، أما التغيرات النظامية التي تشهدها هذه المرحلة فهي نمو القدرة الدفاعية واتساع نطاق القانون....

بعد الثورة الصناعية اتضح عدم ملائمة المرحلتين اللاهوتية والميتافيزيقية وإنما الإنسان في حاجة إلى أساس سليم للمعرفة... والحياة الاقتصادية والسياسية، مما دفعه إلى الدخول في المرحلة الثالثة التي أطلق عليها اسم المرحلة الوضعية: فيها... يرفض الإنسان تلك الافتراضات اللاهوتية والميتافيزيقية، التي تفسر الظواهر، إما على أساس اللاهوتية أو الماهيات، فالإنسان في المرحلة الثالثة عليه البحث على الأسباب الحقيقية لوقوع الأحداث والظواهر... ويمكن الكشف عن تلك الأسباب عن طريق القوانين الطبيعية، التي تفسر الارتباط القائم بين الظواهر...، ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم الوضعي المتماسك منطقيا، والقائم على أساس الملاحظة والتجربة.

وحسب ما ذهب إليه كونت إن هذه المرحل الثالث تمثل قانونا عاما ينطبق على الإنسانية بأسرها أكثر من مجرد مبدأ يحكم تقدم المعرفة، فالفرد في تربيته وتعليمه وتطوره إنما يمر بهذه المراحل الثلاث شأنه المجتمع الإنساني ذاته.

د- العلم الوضعي والفلسفة الوضعية:

لا مجال هنا للتفسير اللاهوتي أ و الميتافيزيقي، بل يتجه العلم الوضعي نحو البحث... عن تحكم وقوع الظواهر، وتنقسم هذه القوانين... إلى قوانين تتعلق بالاتساق في الوجود أي الارتباط المتبادل بين الظواهر « Co – existence » كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية والإنسانية « Succession » وهناك القوانين الخاصة بالتتابع Succession هي المتعلقة بالتغيرات التاريخية أو الوقائع التي ترتبط بعضها البعض بتتابع زمني، وهكذا فكل واقعة تنطوي على جانب استاتيكي ديناميكي، وكلاهما مرتبط بالآخر أوثق ارتباط. والواقع أن العلوم الطبيعية في بحثها عن القوانين الكمال أو الشمول أو اليقين المطلق،وإنما توجد حدود يجب الاعتراف بها، وتفسير الحقيقتين... .

– الأولى: أننا ككائنات إنسانية نكون خبرتنا بالعلم من خلال الحواس،ومن موضعنا والمجتمع، بمعنى أن معرفتنا محكومة بما تمدنا به الحواس .

أما الحقيقة الثانية: فتتمثل في أن التغير الاجتماعي والطابع التراكمي للمعرفة الإ المطلق أمر لا يمكن التسليم به، إن لم يكن مجالا، فكل معرفة نتوصل لها خاضعة للتطور لاختبارات عديدة، والعلم الوضعي يمنحنا الأساس الثابت الوحيد للتنبؤ، وهو إن كان الوحيد المتاح للإنسان لكي يتحرك بفاعلية في العالم والمجتمع من أجل تحقيق غاياته.

ولم يكن كونت يتصور أن يكون العلم الوضعي مجرد قواعد جامدة، لا دور للخيال دور في العلم، إذ هو يقول:

" هناك مجالات عديدة للخيال لكي يعمل عمله في التأمل الوضعي، فعليه أن وتنقيحها " وهكذا كان كونت مدركا للدور الذي تلعبه الفروض في العلم. و " إذا كان صحيحا أن كل نظرية يجب أن تعتمد على الوقائع الملاحظة، فانه م لايمكن ملاحظتها بدون توجيه نظري، وبدون هذا التوجيه تصبح وقائعنا مبه إدراكها ".

ويؤكد كونت أهمية البدء ببعض... القضايا الافتراضية، التي توجه عمل ولعل ذلك هو ما دفع كارل بوبر إلى القول:" بأن كل ما يقوله باسونز ع الإمبريقي، قد وضعه كونت من قبله بوضوح تام ".

ثم نجد كونت بعد ذلك بوضوح الروح الوضعية، وذلك من خلال إحدى المهام الأساسية للعلم الحقيقي، والتنبؤ في رأيه لا يقتصر على الم

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ب- الاتجاه الفكري لظهور الاتجاه الوضعي:

كان اتجاه كونت الفكري ينهض على ثلاثة مقومات أساسية هي: صياغة نسق موحد للمعرفة يتضمن:

- المناهج القادرة على تحصيل المعرفة وتطورها ونموها.
- وضع الأسس المنهجية للتحليل الاجتماعي والعمل الاجتماعي.
- وأخيرا وضع الأسس المنهجية للإصلاحات الدينية و الأخلاقية.

ومن أهم أعمال كونت كتابة " دروس في الفلسفة الوضعية " الذي يعد ثورة على الفلسفة التقليدية، وتوجيها نحو الواقع، بعبارة أخرى، تعني الوضعية عنده القدرة على فهم الحياة بعيدا عن التأمل العقيم، وعلى أساس من المعرفة اليقينية المنظمة . ولايعني باليقين المعرفة المطلقة، وإنما هناك نظرة سببية، تلك هي الروح السائدة التي تنطوي عليها الوضعية.

أما الروح الميتافيزيقية، فهي غير قادرة على إستعاب هذه الفكرة.

جـ- المراحل الثلاث للتطور العقلي والاجتماعي:

لقد تضمن كتاب كونت الخطة العامة لقيام علم الاجتماع، وهي متمثلة في الفلسفة الوضعية، ولقد مر كونت بين ثلاث مراحل للتطور العقلي والاجتماعي.

المرحلة الأولى:

أطلق عليها اسم المرحلة اللاهوتية: وتتميز... بأن مشاعر الإنسان وحياته تتصل أساسا بالبحث عن طبيعة الأشياء وأسبابها، وغاياتها، وتتخذ التفسيرات فيها شكل الأساطير المتعلقة بالأرواح والكائنات فوق الطبيعة.

المرحلة الثانية:

أطلق عليها اسم الميتافيزيقية، وتمتاز هذه المرحلة بالتأمل العقلي، والبحث عن المعاني والدلالات... والتفكير في ضوء المثاليات والأشكال، أما التغيرات النظامية التي تشهدها هذه المرحلة فهي نمو القدرة الدفاعية واتساع نطاق القانون....

بعد الثورة الصناعية اتضح عدم ملائمة المرحلتين اللاهوتية والميتافيزيقية وإنما الإنسان في حاجة إلى أساس سليم للمعرفة... والحياة الاقتصادية والسياسية، مما دفعه إلى الدخول في المرحلة الثالثة التي أطلق عليها اسم المرحلة الوضعية: فيها... يرفض الإنسان تلك الافتراضات اللاهوتية والميتافيزيقية، التي تفسر الظواهر، إما على أساس اللاهوتية أو الماهيات، فالإنسان في المرحلة الثالثة عليه البحث على الأسباب الحقيقية لوقوع الأحداث والظواهر... ويمكن الكشف عن تلك الأسباب عن طريق القوانين الطبيعية، التي تفسر الارتباط القائم بين الظواهر...، ولا يتحقق ذلك إلاّ بالعلم الوضعي المتماسك منطقيا، والقائم على أساس الملاحظة والتجربة.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وحسب ما ذهب إليه كونت إن هذه المرحل الثالث تمثل قانونا عاما ينطبق على الإنسانية بأسرها، فهو أكثر من مجرد مبدأ يحكم تقدم المعرفة، فالفرد في تربيته وتعليمه وتطوره إنما يمر بهذه المراحل الثلاث شأنه شان المجتمع الإنساني ذاته.

د- العلم الوضعي والفلسفة الوضعية:

لا مجال هنا للتفسير اللاهوتي أ و الميتافيزيقي، بل يتجه العلم الوضعي نحو البحث... عن القوانين التي تحكم وقوع الظواهر، وتنقسم هذه القوانين... إلى قوانين تتعلق بالاتساق في الوجود أي الارتباط والتساند المتبادل بين الظواهر « Co – existence » كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية والإنسانية. وهناك هي « Succession » وهناك القوانين الخاصة بالتتابع Succession هي المتعلقة بالتغيرات التاريخية الملموسة، أو الوقائع التي ترتبط ببعضها البعض بتتابع زمني، وهكذا فكل واقعة تنطوي على جانب استاتيكي وجانب ديناميكي، وكلاهما مرتبط بالآخر أوثق ارتباط. والواقع أن العلوم الطبيعية في بحثها عن القوانين لاتدعي مطلقا الكمال أو الشمول أو اليقين المطلق،وإنما توجد حدود يجب الاعتراف بها، وتفسير الحدود بناء على حقيقتين... .

- الأولى: أننا ككائنات إنسانية نكون خبرتنا بالعلم من خلال الحواس،ومن موضعنا الخاص في الطبيعة والمجتمع، بمعنى أن معرفتنا محكومة بما تمدنا به الحواس .

أما الحقيقة الثانية: فتتمثل في أن التغير الاجتماعي والطابع التراكمي للمعرفة الإنسانية يجعلان اليقين المطلق أمر لا يمكن التسليم به، إن لم يكن مجالا، فكل معرفة نتوصل لها خاضعة للتطور والنمو، وتخضع أيضا لاختبارات عديدة، والعلم الوضعي يمنحنا الأساس الثابت الوحيد للتنبؤ، وهو إن كان محدودا، إلا أنه الطريق الوحيد المتاح للإنسان لكي يتحرك بفاعلية في العالم والمجتمع من أجل تحقيق غاياته.

ولم يكن كونت يتصور أن يكون العلم الوضعي مجرد قواعد جامدة، لا دور للخيال فيها، وإنما حدد للخيال دور في العلم، إذ هو يقول:

" هناك مجالات عديدة للخيال لكي يعمل عمله في التأمل الوضعي، فعليه أن يسهم في تكوين الفروض وتنقيحها " وهكذا كان كونت مدركا للدور الذي تلعبه الفروض في العلم. ولقد كتب في ذلك يقول: " إذا كان صحيحا أن كل نظرية يجب أن تعتمد على الوقائع الملاحظة، فانه من الصحيح أيضا أن الوقائع لايمكن ملاحظتها بدون توجيه نظري، وبدون هذا التوجيه تصبح وقائعنا مبهمة وعقيمة، بل يتعذر علينا إدراكها ".

ويؤكد كونت أهمية البدء ببعض... القضايا الافتراضية، التي توجه عملية اكتشاف القوانين الطبيعية، ولعل ذلك هو ما دفع كارل بوبر إلى القول:" بأن كل ما يقوله باسونز عن ضرورة النظرية قبل البحث الإمبريقي، قد وضعه كونت من قبله بوضوح تام ".

ثم نجد كونت بعد ذلك بوضوح الروح الوضعية، وذلك من خلال ربطها بالتنبؤ بالظواهر بوصفه إحدى المهام الأساسية للعلم الحقيقي، والتنبؤ في رأيه لا يقتصر على المستقبل، وإنما يتعلق أيضا بالحاضر

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

والماضي، والروح الوضعية الحقة وإنما تنهض أساسا على البحث من أجل التنبؤ، وعلى دراسة ما هو قائم، من أجل استخلاص ما سيكون، والتنبؤ في جوهره هو معرفة الوقائع بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال علاقتها المباشرة بوقائع أخرى معروفة، وهكذا يصل كونت إلى النتيجة التي مؤداها: " من العلم يأتي التنبؤ ومن التنبؤ يأتي العمل".

هـ - تسلسل العلوم:

ذهب كونت إلى أن نمو العلوم، لا يكتسب فحسب عن أن الفكر الإنساني قد مر خلال المراحل الثلاث التي أشرنا إليها سابقا، وإنما كل علم أو موضوع قد تطور بنفس الطريقة، ويبدو ذلك على أنه تنظيم ضروري للمعرفة، والبحث الإنساني، وهكذا يبدو ضروريا ترتيب تسلسل العلوم في ضوء تصورها التاريخي، وفي ضوء الاعتماد المتبادل بعضها على بعض، ذلك أن كل علم يرتكز على العلم السابق عليه، ويمهد الطريق للعلم الذي يأتي بعده، وكذلك درجة العمومية، ودرجة التعقيد، ومدى قدرة كل علم على تعديل الوقائع التي يتناولها، وعلى أساس هذه المعايير حدد أوغست كونت ترتيبه للعلوم وفق تسلسلها على النحو التالي: " الرياضيات، الفلك، الكيمياء، الفيزياء، البيولوجيا، وعلم الاجتماع، وأخيرا الأخلاق، والتي يعني بها دراسة الإنسان الفرد، وهي دراسة تابعة لعلم الاجتماع، وتمثل مزيجا من علم النفس والأخلاق. ويعتقد كونت أن العلوم لم تظهر بطريقة عشوائية، وإنما ظهر كل علم من العلوم لكي يحقق هدفا معينا، وهو تفسير طائفة من الوقائع، واكتشاف القوانين التي تحكمها، ومن ثم يمكن ترتيب العلوم بطريقة منظمة وفقا لمنطق ظهورها، كما أنه أدرك الحقيقة التي مؤداها: أن كل علم له الحرية في تطوير المناهج الملائمة لدراسة موضوعه الخاص.

والجدير بالذكر هو أن كونت لم يزعم بأن هذا التسلسل للعلوم نهائي أو مطلق، وإنما هو يعتقد،أن ربما يكون مفيدا، من حيث قدرته على تنظيم المعرفة العلمية،وإتاحة الفرصة لإجراء الاستنتاجات والاستخلاصات الممكنة بين العلوم، وكذلك أكد كونت أن دراسة الإنسان والمجتمع التي هي موضوع علم الاجتماع هي أكثر الدراسات تعقيدا وتشابكا.

إذن فعلم الاجتماع يشغل قمة النسق التسلسلي للعلوم، وذلك لأنه يعتمد على هذه العلوم جميعا، في تكوين رؤية متكاملة للحياة الاجتماعية، وظهور علم الاجتماع هو الذي يكمل ويتمم سلسلة العلوم، لأنه سوف يغطى النقص الذي عانت منه المعرفة العلمية كثيرا، والذي يتمثل في انعدام وجود فيزياء اجتماعية. (محمد علي محمد 1989).

3- الاتجاه الماركسي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيم حقائق واقعية توجد في إطار إجتماعي إقتصادي، فهي ترتبط بحياتنا العلمية ارتباطا وثيقا، وينطلق مفكروا هذا الاتجاه في تفسيرهم للحياة الاجتماعية، من منطلق مؤداه: أن التاريخ تتحكم في مسيرته قوانين موضوعية لا تخضع لارادة الأفراد أو الجماعات، وهذه هي حتمية التاريخ من وجهة نظرهم. كما يعد البناء الاقتصادي للمجتمع هو المصدر الرئيسي للقيم لأن هذه الأخيرة تتشكل وتتطور بتطور النسق الاقتصادي، وذلك لوجود رابطة وطيدة وتأثيرات تبادلية بين البناء التحتي والبناء الفوقي، فالبناء التحتي يؤدي دائما إلى إحداث تغييرات في البناء الفوقي، وبالتالي قي القيم باعتبارها إحدى مكوناته، كما يؤدي

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

بدون شك البناء الفوقي هو الآخر إلى إحداث تأثيرات في علاقات الإنتاج، فإذا كان التأثير إيجابيا أسرع في تغيير البناء الاقتصادي، أما إذا كان سلبيا فسيعرقل عملية التغيير في ذلك البناء.

(Welbert E . Moore . Robert.1967. p.20 – 23)

إن العمل facteur الذي يتحكم في التطور العالم لا يعود إلى الفكر فقط، وإنما يعود إلى الأحوال الاقتصادية التي تسود في أي مجتمع في أية مرحلة من مراحل تطوره، وبالتالي تكيف تفكير أفراده وتحدد أساليب تطورهم وأنماط سلوكاتهم، وفي هذا المعنى يقول كارل "ماركس ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم بل على العكس يتحدد وعيهم بوجودهم الاجتماعي"(أ ك أوليدوف 1978 ص7) كما كشف هذا الاتجاه عن حقيقة مهمة مؤداها أن القيم نسبية، ذات طبيعية دينامية، متطورة ومتغير بتغير الأوضاع الاقتصادية ومختلفة باختلاف المراحل التطورية، التي يمر بها المجتمع، كما أنها تتباين بتباين الوضع والظروف المادية للطبقات المكونة للبناء الطبقي في المجتمع، لذا فالقيم الإنسانية المطلقة، لا يمكن أن توجد في مجتمع، يتسم بالصراع بين الطبقات، ولكنها سوف توجد قطعا حينما تزول الملكية ويزول معها استغلال الإنسان للإنسان، هذا لا يكون إلا بتحقق) الشيوعية تحققا كامل خلاصة القول... إن القيم لدى أصحاب هذا الاتجاه ترتبط بأشياء واقعية لها وجود ملموس خارج ذواتنا، وبالتالي فهي صفات للموضوعات المادية وظواهر الشعور الاجتماعي،حيث تحلل مدى أهمية هذه الأشياء في المجتمع والطبقة والإنسان، وتعبر عن مصالح الناس واهتماماتهم في شكل صورة إيديولوجية، أي أن القيم تلازم وتعبر عن سلوكات كل طبقة في المجتمع ووضعها، ومن ثم تعكس طبيعة البناء الاقتصادي.

أ- الجدلية عند كارل ماركسي:

لقد عرف مفهوم الجدلية أهمية خاصة اعتبارا من هيجل Hegel ومن بعده ماركسي، واتخذ تفسير يتعلق مباشرة بالعلوم الاجتماعية، لدى هيجل كما لدى ماركس، يعتبر مفهوم الجدلية ومفهوم التناقض الذي يرافقه متعددي المعاني بالتأكيد، ولكنهما في كلا الحالتين يشيران... إلى حدس بالمستقبل ذا أهمية أساسية في تحليل الظاهرات الاجتماعية، وهو أن أفراد المجتمع يمكنهم، لمجرد أنهم يسعون وراء هدف معين، أن يساهموا في خلق حالة معينة متميزة، وربما متناقضة مع أو عن الغرض المقصود.

فيما يتعلق بجدلية السيد والعبد في كتاب هيجل "فينومنولوجيا" يرغب السيد بأن يعترف « La phenomonologie de l'esprit » به كسيد من قبل العبد، ولكنه بذلك يعترف بإنسانية العبد، وبالتالي يتماثل السيد والعبد. (أ ك أوليدوف 1978 ص .23 .24) .

ب- المادية التاريخية:

لقد شدد مؤسسوا المنهج العلمي دائما في تحديدهم لسمات المادية التاريخية... على أهميتها المنهجية، فالمنهج هو روح الماركسية...، والماركسية في شمولها، والمادية التاريخية على وجه الخصوص، ليست إلا منهجا حيا خلاقا لدراسة ومعرفة الواقع الذي لا يكفي عن التطور والتعبير، وهي لذلك تصلح دليلا للعمل الثوري وللبناء الاشتراكي في نفس الوقت.... ويمكن أن تعتمد العلوم الاجتماعية على منهج المادية التاريخية... وكما أن المادية... تواصل الاستناد في تعميماتها واستنتاجاتها، على إنجازات العلوم... وعلى الأبحاث

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الاجتماعية ذات المدى الواسع وعلى الإحصائيات الدقيقة... فإن منهج المادية التاريخية قد استعمل في الماضي ومازال يستعمل في الحاضر في تحليل تلك المجالات من الواقع التي تؤلف موضوعات الدراسة النوعية لعلم الاجتماع الماركسي، وكان من الممكن أن تتحول المادية التاريخية إلى شيء ميت إذا لم تكن قد استخدمت في دراسة ما يظهر دائما من جديد في مجال العلاقات الاجتماعية، وفي مجال الحياة المادية والثقافية في المجتمع.

وتهدف الأبحاث في علم الاجتماع إلى الوصول إلى تعميمات حول النشاط الإنساني الخلاق للجماهير، وإلى دراسة أثر القوانين في العمليات الجزئية المحددة، والى تعميم النتائج التي تم التوصل إليها.

وبطبيعة الحال يفترض ذلك دراسة العلاقات التي تتشكل داخل مجموعات إجتماعية معينة ومجتمعات وتعاونيات، كما يفترض دراسة الارتباطات المتبادلة بين الظروف الموضوعية (الخارجية) ووعي الناس: ودور الأفكار والمصالح المادية الفكرية، في ظروف البناء الاشتراكي في تطوره، (ونحن نستعمل مصطلح الدراسات العينية في علم الاجتماع لتعرف هذا الاتجاه في البحث).

إذا كانت المادية الجدلية هي العلم النظري الذي يتوصل إلى إطلاق القوانين العامة، التي تحكم تطور المجتمع الإنساني فإن المادية التاريخية... هي علم يضطلع إلى تطبيق مبادئ وقوانين المادية الجدلية على المجتمع .بمعنى أن المادية التاريخية هي علم تطبيقي لتلك الجوانب التي ترسيها المادية الجدلية لأسس علم الاجتماع الماركسي، الذي هو علم الثورة.

.بمعنى آخر أن المادية التاريخية هي حركة المجتمعات نحو البناء الاشتراكي، ومعنى ذلك أن كارل ماركس، قام بعملية تعميق وتوسيع المادية الفلسفية أو المادية الجدلية الدياليكتيتية، كما حاول تطوير هذه المادية في الانتقال من مستوى الطبيعة الفيزيقية إلى مستوى الطبيعة البشرية، فكانت المادية التاريخية هي أكبر انتصارا أحرزه الفكر الماركسي، للماركسية .إذن وظائف العلم ووظائف الأيديولوجيا، فهي تظهر كعلم، حيث يكشف قوانين التطور الاجتماعي، وحين تكشف عن قيم ومبادئ ومعايير نشاط سلوك البشر، فإنها تكون الأيديولوجيا.

(ريمون بودون وف. بوريكو 1986).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner